الأسطورة في المجتمع الأمازيغي القديم

نصيرة ريلي*

الملخص:

يدور بحثنا حول الأسطورة الأمازيغية ، وممّا لا شك فيه أنّ كلّ المجتمعات الإنسانية مهما علا نجمها أو هان إلاّ ولها أساطيرها، والمجتمع الأمازيغي واحد من هذه الأمم المختلفة التي تؤكد الدلائل التاريخية معرفتهم واسعة بعالم الأساطير وخباياه.

وسنوضح في البداية معنى الأسطورة أسباب نشأتها وطبيعتها في المجتمع الأمازيغي، ثم العوامل التّي أدت إلى ضياعها رغم ثراء وغنى مادتها، واختلاف تسميتها من منطقة إلى أخرى في الجزائر وفي باقي المناطق الأمازيغية.

بالإضافة إلى ذلك سعى البحث إلى رصد بعض أشهر الأساطير المعروفة في المجتمع الأمازيغي عموما وعند قبائل الجزائر خصوصا قصد إظهار خصوصيات هذا المجتمع في نظام تقاليده، وطقوسه، ورؤيته للعالم من أجل فهم أعمق وأفضل للمعتقدات والمحرمات الأمازيعية التي لا تزال حية وممارسة بين العامة إلى يومنا هذا.

Abstract:

Our research revolves around the Amazigh myth. As in all cultures of the world, historical evidence confirms Amazigh culture's myth.

Through this study, I will explain at the beginning the meaning of the myth, the causes for its origin and nature in Amazigh society, and the causes of its disappearance. So, in this research I focused on some of the most famous myths in Amazigh society in general, and Algerian kabyle in particular, in order to highlight the specificities of this society in its tradition system, rituals, and its vision of the world for a deeper and better understanding of Amazigh beliefs and prohibitions still present and practicing between the public to this day.

تقديم:

الأسطورة نوع نثري شفاهي قديم قدم تواجد الإنسان على الأرض،فيها سجّل هذا الأخير وقائع حياته وتفكيره ومعتقداته التي هي حصيلة معرفته وعطاءاته عبر العصور التّي تُعد المحاولات الفكرية الأولى في فهم الكون والظواهر المحيطة به.

1- تعريف الأسطورة لغة واصطلاحا:

الأسطورة لغة من سطر يسطر تسطيرا أي ألف يؤلف تأليفا،جاء في لسان العرب

* نصيرة ريلي، كلية الآداب واللّغات، جامعة عبد رحمان ميرة،بجاية .

لإبن منظور يعرف ابن منظور الأسطورة،بقوله:«والأساطير: الأباطيل،والأساطير:أحاديث لا نظام لها(...) وسطّرها:ألّفها،وسطّرعلينا:أتانا بالأساطير(...) إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل»[1].

نستنتج من خلال هذا التعريف أن الأسطورة تعني الحديث الباطل الكذوب وغياب المنطق والحقيقة.

ويرى أصحاب المعجم الوسيط،بأنّها:«الأباطيل والأحاديث العجيبة»[2]،ويبدو أنّ هذا التعريف مأخوذ من ابن منظور.

بينما ينفي بعض الباحثين أن تكون كلمة الأسطورة مشتقة من مادة سطر،ويرون أن العرب لم يعرفوا هذا المصطلح من قبل،وهو ما يذهب إليه وديع بشور في قوله أن:« كلمة "أسطورة " العربية مقتبسة من كلمة اسطوربا (historia) اليونانية،وتعني حكاية أو قصة»[3]،لذلك هناك الكثير من الباحثين من يُفضل استخدام اللفظ اليوناني(ميث) حتى يَحفظ للكلمة معناها الأصيل عوض استخدام مصطلح الأسطورة العربي الذي يكتنفه الكثير من الالتباس والغموض.

أما في الاصطلاح فهي تدل على جماع التفكير والتعبير عن الإنسان في مرحلة حياته الأولى أي المرحلة البدائية،فقد وقف هذا الأخير خائفا إزاء ما كان يشاهده من ظواهر طبيعية مختلفة كحدوث البراكين،وخسوف القمر،وظهور الشمس في الصباح وغيابها ليلا ولتحقيق التوازن النفسي لديه مال إلى إيجاد إجابات مفترضة ومقنعة لما كان يحيره ويرهبه بطريقة تتفق مع طبيعة تفكيره البدائي،وهذا التعليل نجده مجسد في قول الباحثة نبيلة إبراهيم حين قالت أن الأسطورة هي«محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة،أو هي تفسير له،إنّها نتاج وليد الخيال،ولكنّها لا تخلو من منطق معين، ومن فلسفة أولية تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد، وعلى هذا فإن الأسطورة الكونية- شأنها شأن الفلسفة- تتكون في أولى مراحلها عن طريق التأمل في ظواهر الكون المتعددة،والتأمل ينجم عنه التعجب، كما أن التعجب ينجم عنه السؤال،فإذا تساءل الإنسان طلب الإجابة في إصرار عن سؤاله حتى إذا وجد الجواب عن سؤاله،قرت نفسه لأنّ الإجابة حينئذ تكون حاسمة بالنسبة إليه»[4].

ويرى الباحث الأوروبي م. ف ألبيديل أنّ الأسطورة:« حكاية تروى عن الأزمنة التي كانت قبل بدء البدايات كلها،وعن الأحداث التي مضى على حدوثها زمن غير معروف وعن الآلهة

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، تحق. محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ج.6، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ، ص.257.

[2] - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج.1، ط.2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص.429.

[3] -وديع بشور، الميثولوجيا السورية(أساطير آرام)، ط.2، دار الفكر، بيروت، 1982، ص.9.

[4] - نبيلة إبراهيم، ط.3، دار غريب، القاهرة، 1981 ، ص.17.

والأبطال، وظهور السماء والأرض،والبشر والوحوش،والنباتات والطيور،والحياة والموت،والأسطورة أيضا الحكمة الشعبية،وفلسفة الشعب،وشتى أنواع المعارف التي تراكمت عبر القرون»[1].

فالأسطورة بهذا المعنى تتناول بشرح أصل العالم،والنبات والإنسان والحيوان في عصر ما قبل العلم.

ويعرفها عبد الحميد يونس بأنّها حكاية«تروي تاريخا مقدسا،وتسرد حدثا وقع في عصور ممعنة في القدم»[2]،وهذه الأخيرة(الأحداث) حقيقية لأنها تتعلق بحقائق يؤمن بها أفراد المجتمع الذي يتداولها،فهي «ليست بدعة ولا وهما ولا تهيؤات من صنع الخيال»[3]،إنّما هي الواقع الحقيقي الملموس.

ويعرّفها يوسف شلهود بأنّها حكاية:«وقعت في زمن موغل في القدم وحتّى خارج الزمن أمّا أبطالها فليسوا من الآلهة بالضرورة،على الرّغم من أنّها تلعب دورا فاعلا في الدراما الأسطورية،(...) إلاّ أنّ أشخاصه الأساسيين مناطون عموما بقوة خارقة يستطيعون بواسطتها القيام بأشياء خيالية، وهؤلاء الأشخاص بالذات هم الذّين زودوا النّاس بأهم ممارساتهم الشعائرية وتقنياتهم ومؤسساتهم،غير أنّ ما يميّز الميث أفضل تمييز ويسمح في الوقت نفسه بفصله عن الأشكال الأخرى للفكر الخرافي هو تقديم أساس للمعتقدات وتفسير أصل التقنيات والمؤسسات الأكثر أهمية،وتحريك بعض ظواهر الطبيعة،وتزويد مستعمليها بتسويغ لممارساتهم الشعائرية الكبرى»[4].

ويرى فراس السواح أنّها«حكاية مقدسة،يلعب أدوارها الآلهة وأنصاف الآلهة،أحداثها ليست مصنوعة أو متخيلة بل وقائع حصلت في الأزمنة الأولى المقدسة،أنّها سجل أفعال الآلهة،تلك الأفعال التي أخرجت الكون من لجة العماء،ووطدت نظام كلّ شيئ قائم ووضعت صيغة أولى لكل الأمور الجارية في عالم البشر،فهي معتقد راسخ،الكفر به فقدان الفرد لكل القيم التي تشده إلى جماعته وثقافته، وفقدان المعنى في هذه الحياة»[5].

---

[1]- م. ف ألبيديل، سحر الأسطورة(دراسة في الأسطورة، التاريخ، الحياة)، ط.1، ترجمة حسّان ميخائيل اسحق، دار علاء الدين، سوريا، دمشق 2005، ص. 22.

[2]- كمال الدين حسين، التراث الشعبي في المسرح المصري الحديث، ط.1، تقديم مختار السويفي، الدّار المصرية اللبنانية القاهرة، 1993، ص.27.

[3]- ألكسي لوسيف، فلسفة الأسطورة، ترجمة منذر حلوم، ط.1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 2005، ص.41.

[4]- يوسف شلهود، بنى المقدس عند العرب، تر.خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، 1996، ص.81.

[5]- فراس السواح، مغامرة العقل الأولى(دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين)، ط.5 ، دمشق، 1988، ص.19.

وحسب نظرنا،نظن أن التعريف الجامع المانع لمفهوم الأسطورة هو تعريف الذي قدّمه ميرسيا إيلياد(Mircea Eliade) الذي انتهى أن الأسطورة عند الإنسان البدائي كانت تروي:« تاريخا مقدسا، وتخبر عن حدث وقع في الزمن الأول،زمن البدايات العجيب،تذكر كيف خرج واقعٌ ما إلى حيز الوجود، بفضل أعمال باهرة قامت بها كائنات خارقة عظيمة سواء كان ذلك الواقع كليا مثل: الكون،أو جانبا منه،كأن يكون جزيرة أقام فيها الناس،أو نوعا من النبات،أو سلوكا إنسانيا،أو مؤسسة اجتماعية،...تتحدث الأساطير عن عملية خلق،وتقول كيف ظهرت بعض الأشياء،وكيف بدأت بداية وجودها،إذن تتكلم الأسطورة إلا عمّا وقع بالفعل،وما ظهر ظهورا تاما على مسرح الحياة أمّا شخصياتها فهي كائنات خارقة تعود شهرتها على وجه الخصوص إلى المآثر التي أتتها في زمن البدايات،وبذلك تكشف الأساطير عن نشاطها الإبداعي وعن القداسة أو ببساطة عن فائق الطبيعة في أعمالها»[1].

وهكذا يمكننا أن نقول إنّ الأسطورة أقدم أنواع الأدب الشفوي،شرحت لنا مراحل التي مر بها تفكير الإنسان البدائي في فهم طبيعة الكون،وفي تسمية مظاهره،حيث بينت«كيف شرع الإنسان الأول يفكر في نفسه،وفي خالقه،وفي الرّابطة بينه وبين الموجودات،معنوية كانت أو مادية»[2]،وقد غزت كل ميادين الحياة لذلك عدت منبعا لكل أشكال المعارف الأخرى التي كانت متصلة بها في البداية،ثّم انفصلت عنها فيما بعد أمّا أبطالها فقد يكونون من آلهة أو أنصاف الآلهة، أو أبطال ممدّنين.

وللأسطورة وظائف اجتماعية نفسية،فهي توحي للإنسان بالاطمئنان والاستقرار والأمان إزاء أخطار الطبيعة وكوارثها،إذ ترى نبيلة إبراهيم في كتابها أشكال التعبير في الأدب الشعبي بأنّها«عملية إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي،والغرض من ذلك حماية الإنسان من دوافع الخوف والقلق الداخلي،فالإنسان مثلا يخشى الظلام ويحب ضوء الشمس الساطع،ولذلك فهو يقدّس الشّمس ويعدّها آلهة،في حين أنّه يعدّ الظلام كائنا شريرا للإنسان ولهذا يتحتم على الشّمس أن تتصارع مع الكائن الشرير حتى تقضي على حماية للإنسان ومن هنا كانت رحلة الشمس الدائبة،فهي تطلع حينما تنتصر على الكائن الشرير،وهي تغيب حينما يظهر لها مرة لكي يصارعها»[3]،وهي نماذج مختلفة فقد قسمها الباحث طلال حرب إلى ستة أنواع هي:«أسطورة التكوين والأسطورة الطقوسية،والأسطورة البطولية والأسطورة

---

[1]- ميرسيا إيلياد، ملامح من الأسطورة، تر. ترحسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص.11.

[2]- محمد عبد المعيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، ط.3، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981، ص.16.

[3]- يوسف شلهود، المرجع السابق، ص. ص.19،18.

التعليلية،والأسطورة الرمزية وأساطير الآلهة»[1].

أمّا جاكوبسون(Jakobson) فقد قسمها إلى ثلاث أنواع هي[2]:

- ميثات الأصول:(وتسمى أيضا الميثات الإيتيولوجية التعليلية) وتسأل عن أصل كينونة أو جملة كيونات في العالم آلهة،نباتات،بشر...وعادة ما يعطي الجواب في صيغة الولادة أو الخلق أوالصنع.

- ميثات التنظيم:تسأل كيف حدث هذا النوع أو ذاك من المعالم،أو كيف ظهرت بعض الأقاليم في نطاق العالم الراهن،كيف أصبحت الزراعة منظمة،كيف ظهرت إلى حيز الوجود فئات غريبة من الكائنات البشرية وحدد لها وضعها.

- ميثات القيمة:وتشكّل مجموعة متفرقة من أساطير التنظيم،تسأل عن بأي حق يمثل هذا الشيء أو ذاك موقعه من العالم،فقارن بين الفلاح والرّاعي،أو بين الحبوب والصوف.

وهي تمتاز بالخصائص التالية[3]:

1 - من حيث الشكل هي قصة مكتملة لها بداية ووسط ونهاية وشخصيات وحبكة وعقدة وما إلى ذلك،ترد تثرا وغالبا ما تصاغ في قالب شعري ليسهل حفظها،وترتيلها في المناسبات الدينية.

2- لا يعرف لها مؤلف معين،فهي ظاهرة شعبية جماعية،لكن هذا لم يمنع من تدخل بعض الأطراف مثلا: ينسب إلى أفلاطون وضع ثلاثة مؤلفات أسطورية: أسطورة أسرى الكهف أسطورة اختيار النفس لمصيرها،أسطورة الحساب بعد الموت.

3- يتميز النص الأسطوري بثباته عبر فترة طويلة من الزمن نظرا لحفاظه على طاقته الإيحائية،قال فراس السواح: ما تنقله الأسطورة من معان لاتشبه الوقائع أو المعلومات الدقيقة إنّه إيحاء لا إملاء،وإشارة وتضمين لا تعليم وشرح وتلقين.

4- تمثل الآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال المؤلهين (أو الملائكة في الموروث الشعبي الإسلامي) شخصياتها الرئيسية وإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث فإنّ دوره مكمل لا رئيسي.

5- تجري أحداث الأسطورة في الزمن المقدس،وتعد مضامينها أكثر صدقا وحقيقة بالنسبة للمؤمنين بها،فالبابلي لا يشك لحظة بأنّ الإله "مردوخ" قد خلق الكون من أشلاء تنين العماء البدئي،والكنعاني لا يشك لحظة بأنّ الإله "بعل" قد وطد نظام العالم بعد أن صارع

---

[1]- طلال حرب، أولية النص(نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي)، ط.1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان 1999، ص.ص.94، 100.

[2]- محمد أوسوس، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2008، ص.ص.10، 11.

[3]- أمينة فزاري، مناهج دراسات الأدب الشعبي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2010، ص.ص.73، 74.

الإله "يم".

6- ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين،وتعمل على توضيح معتقداته،وتدخل في صلب طقوسه.

7- تعرض الأسطورة حدثا يبقى ماثلا أبدا،فهي لا تقص ما جرى في الماضي وانتهى بل تعرض أمرا يبقى ماثلا أبدا لا يتحول إلى ماض،بل يتخذ صفة الحضور الدائم مثل قضية خالق الكون،ومسألة تنظيم الكون وتسييره.

8- تتمتع الأسطورة بقدسية،وسلطة عظيمة على نفوس الناس وعقولهم،فقد آمن القدماء بكل الحقائق التي نقلتها لهم الأسطورة،كما نؤمن نحن اليوم بما ينقله لنا العلم (الأسطورة= الحقيقة).

وبعدما حددنا ماهية الأسطورة وبنيتها ووظيفتها،فإنه يمكننا بعد ذلك أن نتساءل هل عرف الأمازيغ الأسطورة في إطار هذا المعنى؟

1- تؤكد الباحثة الفرنسية كاميل ديجردا (Camille Lacoste Dujardin) في كتابها حول الحكاية القبائلية حين قالت:«إنّ الجزائر يمكنها أن تفخر بامتلاكها ضمن تراثها الثقافي لغنى عزّ نظيره وجدير بأن يحتل الرتبة الأولى في الآداب الشفوية للعالم بأسره، وبالفعل فإنّ الأدب الشفوي القبائلي يشكل مجموعا استثنائيا على الإطلاق شديد الغنى فيما يخص المرويات النثرية التي تشكل حكايات الغيلان والسعالى والحكايات العجائبية تجلياتها الكبرى»[1].

2- موقع بلاد تمازغا الاستراتيجي الذي جعلها تتعايش مع شعوب متابينة كالرومان واليونان والمصريين، وترتب على ذلك قيام تأثير وتأثر بين هذه الأمم « وتفاعلها معها يشكل بيئة خصبة لازدهار الفكر الميثولوجي،ويجعل من شبه العبث الحكم بأن الأمازيغ لم يكونوا يعرفون الميثولوجيا»[2]،ويظهر ذلك جليا في الحكايات الأمازيغية المزينة ببعض الأساطير الإغريقية مثل ميث ميداس (Midas) الذي يروي لنا المنافسة الموسيقية التي جمعت بين الإلهين أبولو و(pon) ،ولما فضل ميداس موسيقى (pon) على قيتارة أبولو ،عاقبه هذا الأخير فحول أذنيه إلى أذني حمار فأخفاهما ميداس على الجميع إلا على حلاقه الذي همس بسره في حفرة من الأرض،بقربها شجرة القصب،فكانت كلما هبت الريح رددت شجيرات القصب قصة أذني الملك.

3- كما يؤكد لنا بعض المؤرخين« تأثر الفكر الإغريقي نفسه بالأدب الأمازيغي وأن الأديب المسرحي إسخيلوس في كتابه بروجيمناسماتا كان يعرف الأقاصيص الأمازيغية الليبية وكانت هذه الأخيرة تنسب إلى ليبي مجهول،أما أرسطو فقد جعل الأقاصيص الليبية صنفا أدبيا

---

(1) - محمد أمسوس، كوكرا في الميثيولوجيا الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2008، ص.13.

(2) - المرجع نفسه، ص.15.

خاصا،له ميزته »[1].

4- تعدد آلهة الأمازيغ وتنوعها،وهو ما يؤكده كومسْ(G.Camps) في قوله:«نعرف أسماء ما ينيف عن الخمسين من هؤلاء الالهة ،ومعظمها تكشف عنها النقوش،وأغلبيتها تحمل اسما إفريقيا يمكن فهم معناه أحيانا بفضل اللغة الأمازيغية»[2]،مثل أفريكا،وإيفْرُو إله الجبل ،أنزار إله المطر،ليلو إله الماء...إلخ ،فتعدد اللآلهة عادة ما يكون مجالا خصبا لإنتاج الأساطير.

وهكذا يتضح لنا أن الأمازيغ عرفوا الأسطورة شأنهم شأن الأمم الأخرى،وذلك لتوفر الأرضية الخصبة التي سمحت بإنتاج هذه الأساطير.

2- أسباب ضياع الأساطير الأمازيغية:

1-الأدب الأمازيغي أدب شفوي، وعدم تقييده أدى إلى ضياع الكثير منه.

2- تحول الأمازيغ الشّامل إلى الإسلام الذّي يدعو لعبادة الله الواحد،ممّا أدى الكثير من الرواة يتورعون في نقل بعض الأساطير التي تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي.

3- وجود أساطير كثيرة قبل دخول الإسلام، لكنّها ضاعت فيما بعد بسبب العامل الديني.

4- الحط من شأن الثقافة الشعبية الشفوية وتمجيد الكتابة.

5- العلمنة المتزايدة والتقدم الصناعي للمجتمعات،وتطور الوسائل السمعية البصرية.

وصفوة القول أن الأمازيغ قد عرفوا فن الأسطورة،وكانت لهذه الأخيرة نفوذ قوي في حياة ناسها،لكن جزء كبير منها قد ضاع بين صدور الرواة ،لأن المجتمع الأمازيغي يقرأ بالأذن ويكتب بالشفاه هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان لدخول الأمازيغ في الإسلام دور لا يستهان به في ندرة هذه الأساطير التي كانت لا تتفق مع الديانة التوحيدية.

3- شروط الحكي الميثي: تختلف طقوس سرد الأسطورة عن غيرها من أشكال الأدب الشعبي،فالراوي يبدأ في قص الميث مباشرة دون أن يستخدم أي مقدمة الاستهلالية المتعارف عليها في عالم الحكايات الخرافية ولكنّه قبل الشروع في الحكي كان عليه أن يهيئ الأرضية الصالحة لذلك عن طريق تطهير المكان قصد إبعاد القوى غير المرغوب في حضورها،لأن الأسطورة تحمل بعدا عقائديا وطقوسا مقدسة وأسرارا يجب المحافظة عليها فقد ذكر **ميرسيا إلياد** أنه قبل الشروع في الحكي الأسطوري في بعض البلدان الأسيوية«يجري تحضير

---

[1]- محمد أمسوس، كوكرا في الميثيولوجيا الأمازيغية، ص.14.

[2]- المرجع نفسه، ص.15.

المكان فينثر فيه الطحين المشوي على النار»[1] حتى يُطهر المكان من الأرواح الشريرة بينما يكتفي الأمازيغ بنثر الملح في المكان الذي يحتضن رواية الأساطير بعدما يتحلق المستمعون حول الراوي .

تستوجب رواية الأساطير شروط لابد من توفرها وهي«ضرورة وضع الحاكي والسامعين بضع حبات من القمح في أفواههم أولا، والإلتزام بأن يكون الحكي ليلا فقط،مع توخي عدم حضور المرأة في مجلس سرد الميثات،ويُستحسن أن يتم ذلك خارج البيت إذا أمكن، وقبل بدأ السرد يتوجب في الليلة الأولى ذبح ديك،وفي نهاية الليلة الرابعة ذبح عنزة أو حمل،إذ لا يجب تمديد الحكي لأزيد من أربع ليال،ومن لم يتقيد بهذه القواعد يموت كل أفراد أسرته إلاّ هو فسيظل حيا»[2]،ولاتزال الكثير من الشعوب تعمل بهذه الوصفة المقدسة«حتى عند الشعوب التي تجاوزت في ثقافتها مرحلة الأزمنة الغابرة»[3] .

ومن هذا كله،يتضح لنا أن الأساطير مقدسة،لذا لا تروى أمام جميع الّناس،بل تتلى في مجتمع رجالي تقصي منه النساء وحتى الأطفال باعتبارهم «أشخاص بدون إعداد وتأهيل،ولم يطلعوا على أسرار وعلى معتقدات الجماعة»[4]،وأن موطنها الأصلي هو الليل،وبالتحديد ليالي فصل الشتاء أو الخريف ومن أداها خارج هذا الزمان أصيب باللّعنة.

4- المصطلحات الدالة على الأسطورة عند قبائل الجزائر:

لم يطلق الأمازيغ على حكاياتهم المقدسة (الأساطير) مصطلحا معينا يميزه عن باقي الأشكال الشعبية الأخرى مثلهم مثل باقي الأمم الأخرى، ويؤكد فراس السوّاح ذلك في قوله:«أن القدماء أنفسهم لم يعملوا على تمييز النص الأسطوري عن غيره،ولا هم دعوه باسم خاص يساعدنا على تمييزه بوضوح بين ركام ما تركوه لنا من حكايا وأناشيد وصلوات وما إليها»[5]،لذلك تعددت الأسماء التي أطلقها سكان قبائل الجزائر على الأسطورة،فمنهم من يطلق عليها لفظة تماشهوت أو ثمْعيث،ولكن هذين اللّفظين موجهين أصلا للدلالة على الحكاية الخرافية.

ويذكر فروبينيوس(Frobenuis) أن بعض المخبرين الذين جمع عنهم بعض الأساطير،قد أطلقوا على هذا النوع الأدبي الشعبي مصطلح(لوح الدنيا)Llu + n ddenya الذّي يعني نص أو كتاب العالم، وعملوا على عدم الإفصاح عنه أمام الغرباء،لأنّ الأسطورة في نظرهم

---

[1]- ميرسيا إيلياد، ملامح من الأسطورة، ص.17.

[2] - محمد أمسوس، كوكرا في الميثيولوجيا الأمازيغية، ص.27.

[3]- المرجع السابق، ص.17.

[4]- ميرسيا إيلياد، ملامح من الأسطورة ، ص.16.

[5]- فراس السوّاح، الأسطورة والمعنى، ط.2، منشورات علاءالدين، دمشق، 2001، ص.8.

تتضمن أسرار عميقة ومقدسة لا يجب إخبار الغير بها في قوله: «لقد كانوا في كلّ مرة يتوسلون إلي بإلحاح ألاّ أبوح به للعرب»[1] ،كما يؤكد الباحثون في علم الاثار عن عثورهم«على الألواح طينية ورُقُم وجدران معابد دُونت عليها رسومات ورموز وإشارات وكُتبت بأشكال مختلفة آخذة في التطور حسب المراحل الزمنية لتلك الحضارات،حيث عُرفت تلك المدونات بالأساطير»[2] ،في كلّ من العراق والشام ومصر،وذلك قبل معرفة هذه البلدان للكتابة ويعني هذا أن القدماء كانوا يدونون أساطيرهم التي هي تاريخهم المقدس على ألواح من الطين،وهذه اللوحات تسبق ظهور الكتابة بآلاف السنين.

إضافة إلى ذلك،فإننا نرجح أن التسمية التي أطلقها أجدادنا الأمازيغ على الأسطورة بـ"لوح الدنيا" هي تسمية عربية الأصل، انتقلت إلى اللّغة اللأمازيغية عن طريق طلبة المساجد والزوايا الذين كانوا يستخدمون الألواح الخشبية في تلقين العلم والمعرفة.

بينما يؤكد الباحث لعمارة بوكشيش أنّ المصطلح الحقيقي الذّي أطلقه قبائل الجزائر على الأسطورة هو مصطلح تادْيَانت جمع تِيدْيَانِين الذي يعني الحدث أي الحكاية،أو الحكاية الأسطورية،أو الملحمة سواء كانت حقيقية أم خيالية،وقد يكون هذا الأخير الاسم السري للأسطورة الذي لم يرغب المخبرون الأمازيغ إعلام فروبينيوس به.

كما وجدنا مناطق أخرى تستعمل عبارة ثحْكايثْ أو تقْصيط وهما لفظان مأخوذان من الثقافة العربية بمعنى الحكاية أو القصة،فيشيرون للأسطورة بعبارة ثحْكايثْ أو تقْصيط نْ صَّحْ،أي الحكاية أو القصة الحقيقية للتميز بينما وبين القصص وحكايات الخيالية ذات المضمون الأدبي البحت.

ويطلق عليها أهل بني ميزاب مصطلح تامنفوست أي الحدث غير العادي أو الحدث الملحمي،بينما يطلق عليها طوارق الجزائر مصطلح **أُمِيِ (Umyi)**،**وهو** المصطلح الذي يعرف رواجا كبيرا في الوسط الأكاديمي .

5- تقديم نماذج من الأساطير المعروفة عند أمازيغ الجزائر: وسنذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- **أسطورة أنزار:** (تيسليت أنزار) التي تحكي عن فتاة رائعة الجمال،تقضي جلّ وقتها في النهر تستحم،وحدث أن رآها الملك أنزار فانبهر لجمالها،فطلبها للزواج لكن الفتاة رفضت.

غضب الإله لرفض الفتاة له،فقطع الماء عنها،فأصبحت قريتها مهددة بالجفاف والهلاك،بعدما تحوّلت حياة ناسها إلى شقاء وحرمان،فبدأت هذه الأخيرة بالبكاء،لأنّ الماء هو

---

[1]- محمد أمسوس، كوكرا في الميثيولوجيا الأمازيغية، ص.27.

[2]- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، الأسطورة توثيق حضاري، ط.1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، سورية 2009، ص.20.

روحها وسر وجودها،فتوسلت الإله أنزار بأن يسامحها،فعاد من السماء إلى الأرض فضمّ حبيبته بين ذراعيه،فتهاطلت الأمطار بغزارة، وعاد النهر إلى الجريان،فرقص السكان فرحا بهذا الحدث السعيد،وأقاموا الولائم والأفراح.ومازال الإنسان الأمازيغي عبر بلاد تمازغا يُحيي بقايا هذه الأسطورة بما يُعرف بـ(تسليت أونزار) أو أغنجا وذلك عند انقطاع تهاتن الغيوث وانحباسها بحيث يأخذ السكان مغرفة (أغنجا) تزين وتجهز بالملابس الجميلة كالعروس،وتسلم لأجمل فتاة عندهم لتطوف بها من منزل إلى آخر،متبوعة بحشد من الأطفال والنساء مرددين أنشودة أنزار الفولكلورية المعروفة في المنطقة،فيقوم الأهالي برش المغرفة بالماء،كما يقدم كل واحد منهم ما يقدر عليه من العطايا والصدقات،دقيق أو شعير زيت،بصل...إلخ،وعند الانتهاء من تأدية هذه المراسيم،تشرع النساء في تحضير الوليمة (بطهي الكسكس باللحم) التي يُستدعى الجميع إليها،والطعام المتبقي يوزع على الفقراء والمساكين،وهذه العادة ما هي إلاّ إعادة إحياء للأسطورة أنزار الأمازيغية .

- **أسطورة حايّانْ:** أوحكان وهو مشتق من الفعل حكّن بمعنى قتّم،حكان كل ماهو قاتم،وهي تروي لنا حكاية عبد أسود الذّي أراد أن يتزوج من ابنة رجل أبيض(أقليد)،ولاستبعاد حدوث هذا الزواج غير المتكافئ اجتماعيا أمر أب الفتاة أن يبقى الخطيب تحت شلال الماء مدة من الزمن حتى يبيض، وفي اليوم السابع تهاطلت أمطار غزيرة مصحوبة بقوس قزح تعبيرا على عدم رضى الطبيعة بتصرف العبد الذي أراد أن يحصل على ما هو ليس له.

- **أسطورة عرس الذيب (تمغْرى نْ وُشَّنْ):** وهي من أشهر الأساطير المعروفة في الجزائر خصوصا،ولدى أمازيغ شمال إفريقيا عموما،ويقصد به اليوم الذي تجتمع فيه مجموعة من الظواهر الجوية المتناقضة حيث يسقط المطر وتشرق الشمس ويظهر قوس قزح في الآن ذاته لأجل المشاركة الذئب حفلة زفافه،فالأسطورة تحكي عن زواج الذئب بغير أنثاه بعدما طالب بالخلط بين أنساب الحيوانات،وبالتالي يتحصل كلّ حيوان على ما كان ينقصه من فطنة وقوة وهيبة،فتصبح بذلك كل الحيوانات على قدر المساواة،وقد كان من نصيب الذئب أن فاز بالناقة أنثى الجمل التي كانت لا تناسبه حجما،ولمّا حان يوم الزفاف لم يحترم الذئب شعائر وعادات الزواج حيث لم يُقدم هذا الأخير لعروسه جهازا (trousseau) ،ولم يقدم للحاضرين أي طعام،فبدى العرس مخالفا للمعهود عليه وقد عبّرت الطبيعة عن سخطها وعدم رضاها بالطريقة التي تم بها هذا الزواج حيث تمازج المطر والشمس البرق والرعد وقوس قزح في آن واحد،فخرجت كل الحيوانات مستنكرة فعل الذئب الذي خرق نظام العالم مرتين المرة الأولى عندما تزوج من الناقة،والثانية عندما لم يحترم عادات وطقوس الاجتياز التي تؤهله للإندماج في المرحلة الجديدة(الزواج).

- **أسطورة الهلال الباكي(إمطاون نْ وڤور):** كان هناك رجل فقد زوجته،فتولى بتربية ابنه وبعد مدة مات وترك ابنه وحيدا يحيا حياة البؤس والخصاصة.

ذات يوم جلس اليتيم أمام عتبة الدّار ليلا، وبدأ يبكي بؤسه،وعجزه عن الفرح والسعادة في هذا العالم بعدما فقد والديه، ولمّا رآه الهلال تأثر لحاله،وبدأ يبكي بدوره.

ولمّا شاهدت الملائكة الهلال شاحبا باكيا سألته عن سبب حزنه وبكائه فردّ عليها قائلا:

تْرُوغْ إِمطِّي نُ ڤوجيل Ttruγ imetti n ugujil تر: بكيت دموع اليتيم

مِي يِڤوني أَمْنَارْ Mi yegguni amnar تر: جلس أمامعتبة البيت

يِتْرُو أ بَابَا ربّي Yettru a baba Rebbi تر: بكى واستنجد بالرّب

أُولاشْ وِينْ أَرَى يِقَنْ لَقْرَارْ Ulac win ara yi-igen leqrar تر: لا يوجد من يرعاني ويُقوِم سلوكي

يِنَايَاسْ تْرُوغْ أُولاَ ذ نَكِن .Yenna-as ttruγ ula nekkini تر: فقال: فبكيت لوضعه بدوري.

-أسطورة أصل القردة(تمطوث إِكْسَفْضَنْ سْ وَغْرُوم):كانت القردة في بداية خلق الكون بشرا عاديين.ذات يوم عزمت هذه الجماعة تأدية ركن الحج،وكان ضمن هذه الجماعة إمرأة حاملة رضيعها وأثناء الطريق تبرز المولود في حجر أمه،وعندما لم تجد ما تمسح به برازه أخذت قطعة من الخبز(أغْرُوم)،ومسحت بها،وفي تلك اللحظة تحولت المرأة والجماعة التي رافقتها إلى قردة لاقتراف هذه الأخيرة معصية عدم احترام الخبز،والجماعة المتبقية في سكوتهم وعدم اعتراضهم عن الباطل،وقد عُوِضَ الخبز عند أمازيغ الصحراء**(الطوارق)** باللحم.

- أسطورة النحلة(تِيزِزْوِيثْ): عندما خلق الله تعالى العالم،كانت للحيوانات القدرة على الكلام والحركة،وذات يوم طلب منهم أن يفصح كل حيوان عن أمنيته حتى يُحققها الله له،مرت كلّ الحيوانات وعندما حان دور النحلة قالت في تسرع: لأَمُتْ حين ألسع أحدا،وحينما انتهت لخطئها حاولت استدراكه لكن الله استجاب لطلبها الأول.

- أسطورة القنفد(إِنِيسِي): كان القنفذ في بداية خلق العالم إنسانا صغيرا يضع أفراطا في أذنيه،ولمّا خلقت أم العالم الكباش،استخدمت صوفها في النسيج بعد جزّه وغسله،ثم صنعت إيقردشانْ (منفشا) من خشب مجهزا بمجموعة من المسامير المسننة لنفش الصوف،وذات يوم أخذ القنفذ المنفش للعب به،ولمّا احتاجت أم العالم إليه لم تجده في مكانه المعتاد بحثت عنه طويلا،وعندما وجدته ضربت به القنفذ ضربا مبرحا حتى انغرست كلّ الأشواك في جسمه،ومنذ ذلك اليوم أصبح جسم القنفذ ممتلئ بالأشواك.

- أسطورة يما قورايا: وهي امرأة بجاوية عرفت بقوتها وشجاعتها وقدرتها الخارقة على اقناع النّاس بما فيهم الرّجال،وهذا ما جعلها غير محبوبة من طرف حاكم قبيلة بجاية آنذاك،فأمر حراسه بأن يقبضوا عليها،وتحبس في قفص لا تخرج منه أبدا.

نفّذ الحرس ما أمر به زعيم القبيلة،وبعد مدة تعرضت المنطقة لسطو ونهب من طرف مجموعة من قطاع الطرق،فلم يتمكن أحدا من الأهالي رد هذه الغارات، ولمّا علمت يما قورايا بالأمر طلبت من الحراس أن يطلقوا سراحها حتى تتمكن من القضاء عليهم،في البداية

رفضوا ،وبعد إلحاحها عليهم فتحوا لها القفص.

قصدت المرأة الحكيمة زعيم القرية،وطلبت منه أن يعطيها كل ما يملكه من كنوز ثمينة حتى تتمكن من اخراج قطاع الطرق من قريتها،فأعطاها ما تريد،فبدأت تجول في كل أنحاء القرية،وتلقي بالذهب وراءها واللصوص يتبعونها،ويلتقطون ما نثر من الذهب،ثم اتجهت صوب البحر دون أن تتوقف من إلقاء الذهب وقطاع الطرق يتبعونها وكلّهم فرحة بما جمعوا،ولمّا غطسوا في البحر غرقوا كلّهم،إلاّ هي فقد نجت لأنها كانت تحسن السباحة ومنذ ذلك الحين،علا نجم قوراية بين أهلها،وخصوصا عند زعيم القبيلة الذي أصبح يقدرها ويبجّلها لأنها استطاعت بحنكتها ورؤيتها الثاقبة للأمور أن تحقق ما لم يتمكن الرّجال بل زعيم القبيلة من فعله فقد كانت أكثر فطنة وذكاء منه،لذلك قررت حراسة المدينة ليلا ونهارا،وهي مستلقية على الأرض لا تنام،حتى إلتحقت بالرفيق الأعلى،فعمّ الحزن و الحسرة على القرية»[1]،ومنذ ذلك الوقت أصبح النّاس يرتادونها خاصة عند اقتراب الأعياد،والمواسم الدينية،وكلّهم إيمانا بقدراتها الخارقة في حلّ القضايا المستعصية وعلاج الأمراض التي عجز العلم الحديث على مداواتها،فيتوجهون إليها بالتضرع والثناء قصد الانتفاع بما تتمتع به من بركة وشفاعة عند الله.

- **أسطورة أزرو نْ طهُورْ بعين الحمام:** وهو جبل يتواجد على بُعد 20كم من بلدية ميشلي عين الحمام حاليا،تحكي لنا هذه الأسطورة عن توافد مجموعة من الزوار من ولاية بويرة مشيا على الأقدام اتجاه هذا الجبل المقدس للتنزه والترفيه،ولمّا حان وقت الأكل،قدِم أحد سكان هذا المكان يحمل لهؤلاءالضيوف صحنا كبيرا من الكسكسي،ولكنّه تعثر في طريقه،فسقط منه الصحن وتدحرج من أعلى الجبل حتّى أسفله دون أن يفرغ ما بداخله،وهذا ما أدى بسكان هذه المنطقة إلى تشيد منزل في قمته،والذّي تحول إلى مقام مبارك يقصده عدد كبير من النّاس من مختلف أرجاء الوطن،وحتى من بعض البلدان الأروبية كفرنسا وبلجيكا وألمانيا »[2].

- **أسطورة فورار:** وهو الشهر الثاني من أشهر السنة الأمازيغية يقابله في العربية فبراير وتُعرف هذه الأسطورة بـ(تمْغَارثْ ينَّايرْ) أو أسطورة العجوز المعروفة عند قبائل الجزائر،وهذه الأخيرة تفسر لنا سبب انحصار عدد أيام شهر فبراير في 28 يوما،إذ تفيد الأسطورة أنّ شهر يناير قصد يوما شهر فُورار طالبا منه أن يقرضه يوما واحدا من أيامه حتّى يتمكن من الانتقام من العجوز الشمطاء التي سخرت منه،فيستجيب فورار لطلبه فيبعث

---

[1]- عبد الرحمان بوزيدة، قاموس الأساطير الجزائرية، منشورات crasc، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص.ص.168، 169.

[2]- عبد الرحمان بوزيدة، قاموس الأساطير الجزائرية، ص.157.

يناير بعواصفه القوية وبأمطاره الغزيرة،وبرده الشديد،وثلوجه المتهاطلة ليجمد العجوز وقطيعها ويُعرف هذا الشهر في بلاد تمازغا عموما بـ(فورار بُو يمطاون) بسبب قصر عدد أيامه وكثرة أمطاره،التي هي في الحقيقة الدموع التي ذرفها على اليومين التي استعارها منه شهرا يناير ومغرس ورفضا من إعادتهما له،أمّا مارس فقد كانت أيامه طويلة،فكان جوع الفتيات يزداد حدة خاصة حين يلعبن ويمرن،لذلك فرحن بانقضاء هذا الشهر،وهو الأمر الذي أغضب مارس فاتجه بدوره إلى فورار لكي يُقرضه يوما حتى يزيد من جوع الفتيات،ويفتك بهن.

انطلاقا من كلّ ما تقدم،يتضح لنا أنّ الأسطورة هو تاريخ الشعوب المقدس،فقد عبّر الأمازيغ من خلالها عن إبداعاتهم وانشغالاتهم الروحية والعقلية،ورؤيتهم للكون والحياة،للإنسان والحيوان،وقد استمر تناقلها طويلا إلى أن وصلتنا في شكلها الحالي،وهي لا تُؤدى إلاّ في المكان والزمان الخاص بها،وهي أنواع عديدة مثل أساطير بناء الكون وتصور العالم ومختلف الظواهر المحيطة به،أساطير ظهور الإنسان ونشأة المجتمع البشري وأساطير نشأة الحيوان وما يرمز إليه من صفات،فوجود هذه الأساطير دليل يقيني على وجود هذا المجتمع من جهة،وثراء ثقافته من جهة أخرى.

كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نؤكد على ضرورة جمع الأساطير الأمازيغية القديمة،وتدوينها لإنقاذها من الضياع والنسيان والانقراض نتيجة التقدم الذّي سجلته الوسائل السمعية البصرية المختلفة في ظل البارابول واستخدام الكومبيوتر،وشبكة الأنترنت،والهاتق المحمول،وفيس بوك وغيرها من الوسائل التي عرفت شيوعا مذهلا في حياة كل الأفراد والمجتمعات.

- المصادروالمراجع العربية:

- إبراهيم نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط.3، دار غريب، القاهرة، 1981.
- ابن منظور، لسان العرب، تحق. محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان 1999.
- أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان 1972 .
- أوسوس ، كوكرا في اليثيولوجيا الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2007.
- بوزيدة عبد الرحمان، قاموس الأساطير الجزائرية، منشورات crasc، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005
- حرب طلال، أولية النص(نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي)، ط.1 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1959.
- حسين كمال الدين، التراث الشعبي في المسرح المصري الحديث، ط.1، تقديم مختار السويفي، الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993، ص.27.
- خان محمد عبد المعين، الأساطير والخرافات عند العرب، ط.3، دار الحداثة، بيروت

لبنان 1981.
- دبشور وديع، الميثولوجيا السورية(أساطير آرام)، ط.2، دار الفكر، بيروت، 1982.
- شلهود يوسف، بنى المقدس عند العرب، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة بيروت 1996.
- فراس السواح، الأسطورة والمعنى(دراسة في الميثولوجيا والديانات الشرقية)، ط.2، منشورات علاءالدين، دمشق، 2001.
- ـــــ ، مغامرة العقل الأولى(دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين)، ط.5، دمشق ، 1988.
- فزاري أمينة، مناهج دراسات الأدب الشعبي، د.ط.، دار الكتاب الحديث، الجزائر 2010.
- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، الأسطورة توثيق حضاري، ط.1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، سورية 2009.

-المراجع المترجمة:

- إلياد ميرسيا، ملامح من الأسطورة، ط.1، تر. حسيب كاسوحة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق 1991.
- ألبيديل م. ف، سحر الأسطورة(دراسة في الأسطورة، التاريخ، الحياة)، ط.1، ترجمة حسّان ميخائيل اسحق دار علاء الدين، سوريا، دمشق 2005.
- ألكسي لوسيف، فلسفة الأسطورة، ترجمة منذر حلوم، ط.1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 2005.